محاضرة5: **-العصر الذهبي للصحافة الإستقصائية :**

دخلت الصحافة الاستقصائية عصرها الذهبي مع بداية السنوات الأولى من القرن العشرين وكانت هناك اثنتان من القوى شكلت الحافز الرئيس للصحافة، وكانت القوة الأولى تتمثل في زيادة الانعزال عن السلطة العامة في المجتمع الأمريكي في تلك المرحلة، خصوصاً من جانب الطبقة الوسطى المتعلمة، وقد أدت الثورة الصناعية إلى مضاعفة تأثير ونفوذ هذه الطبقة على الحكومة والاقتصاد في نفس الوقت ، وتمثلت القوة الثانية في وصول المهاجرين إلى المدن الأمريكية، مما أدى إلى نزوح القوى المؤثرة من المناطق الإقليمية إلى تلك المدن، فضلا عن ذلك، فإن زيادة التضخم ساهم في تعميق مشاعر الإحساس بالعزلة لدى المواطنين الأمريكيين، وفي النهاية أدت هذه التطورات إلى اتساع تأثير الطبقة التقدمية في الولايات المتحدة، مع ملاحظة أن الحكومة الأمريكية كانت قد أوشكت على التحول إلى الشيوعية أبان فترة الكساد العظيم في عام 1929.

ومع انتشار النزعة التقدمية ذات الصبغة اليسارية فقد أصبحت صحافة إثارة الفضائح والكشف عن الفساد، من الأدوات السياسية المستخدمة في إدارة الصراع مع المعسكر الرأسمالي داخل الولايات المتحدة نفسها وهكذا أعيد طرح نموذع الصحافة الإستقصائية التي تسعى إلى الحشد والتحريض، وعمد المحررون إلى فضح جرقم الرشوة ، والفساد ، والجريمة المنظمة، وهدر الموارد والوحشية ، من جانب أجهزة الشرطة في التعامل مع المواطنين، وكان الإحساس بالمسئولية الاجتماعية الدافع وراء هذه التوجهات من جانب المحررين واتجه المحررون إلى دفع الرأي العام للتحرك ضد هذه الانحرافات ، وأسفرت بعض هذه التحركات في تحقيق عدة نتائج إصلاحية.

وبالتوازي مع هذه الحركات الاجتماعية، فقد كان هناك العديد من التطورات في وسائل الإعلام الأمريكية، فقد شهدت تلك الفترة زيادة في أعداد الصحف اليومية التي تصدر بصورة منتظمة في الولايات المتحدة، وبلغ عدد هذه الصحف حوالي 2461 صحيفة عام 1916، وهو أكبر عدد من الصحف ظهر في التاريخ الأمريكي وترتب على ذلك بزوغ فترة المنافسة بين الصحف، وأصبحت المجلات قوة جديدة منافسة ، ومن ثم ، تأسيس شبكة من الصحف على المستوى القومي الأمريكي، وبدأت الصحف الكبرى في نشر وإعادة نشر التحقيقات التي تهم القارئ المحلي في الولايات المتحدة التي تصدر فيها تلك الصحف الكبرى طبعات إقليمية، وعملت التقنيات الحديثة على خفض التكلفة مع زيادة معدلات سرعة نقل الأخبار اليومية ومن ثم الوصول إلى جمهور أكثر اتساعاً لوسائل الإعلام

وباختصار فإن التفاعل بين القوى الاجتماعية الثلاث السابق الإشارة إليها، أسفر عن ظهور وتدعيم الصحافة الإستقصائية في الولايات المتحدة، إذ أن الطلب المتزايد من المنعزلين عن الانحرافات التي يتم ارتكابها في المؤسسات الحكومية ، والخاصة، عمل على زيادة عدد القراء، فضلا عن التنافس بين المؤسسات الصحفية في نشر المزيد من الأخبار عن الفساد ، وقد تمتع المحررون المتخصصون في صحافة كشف الفساد في هذه الفترة بفرصة فريدة، فقد كان الجناة والضحايا في الفضائح التي انتشرت في تلك السنوات في كل مكان، وقد ركز محررو تلك الصحف على استهداف ثلاث فئات هي: الشركات الكبرى والسياسات العامة، وانعدام العدالة الاجتماعية، ومن وجهة نظر هؤلاء المحررون، فقد عملت الشركات الكبري على إفساد السياسات العامة في الولايات المتحدة، مما أدى إلى غياب العدالة الاجتماعية.

ومع بداية القرن العشرين، شهدت الصحافة الإستقصائية العصر الذهبي he Golden Age of Mackrakers فقد نشرت الصحف مثل ماك كلوير McClure العديد من التقارير التي تناولت الفضائح السياسية في الولايات المتحدة، وأشرف على تحرير عدد من تلك التقارير عدد من الصحفيين الذين أصبحوا يتمتعون بمكان: أسطورية في تاريخ الصحافة الأمريكية مثل لينكولن ستيفنز Lincoln Stifiens وايدا ترابيل Ida Tar bell ، وروى ستانرد بیکر Roy Stanard Baker ، ففى المدد الصادر في يناير من عام 1903 من صحيفة مالك كوثير، على سبيل المثال تم نشر تقرير عن الفضائح التي تورطت فيها شركة ستنادر أويل Standard Oil الأمريكية العملاقة للنفط، وكان التقرير بقلم ابدا ترابيل، في حين نشر لينكولن ستيفنز عدداً من التقارير عن الفضائح والفساد في المدن الأمريكية بعنوان " المار في مدينة مينا بولیس Shame in Minneapolis"، كما أمد روي ستانرد بيكر عدداً آخر من التقارير التي تتناول فضائح استغلال الطبقة العاملة في الولايات المتحدة، وهذه التقارير الرائدة مهدت الطريق أمام الكثيرين من الصحفيين الذين سلكوا درب الصحافة الإستقصائية فيما بعد ، كما أدت هذه التقارير كذلك إلى إدخال إصلاحات جوهرية.

فعلى سبيل المثال، أدت سلسلة التقارير التي كتبتها إيدا ترابيل بعنوان تاريخ شركة ستاندرد أويل (The History of The Standard Oil Company)إلى صدور قرار من المحكمة العليا The Supreme Court في الولايات عام 1911 بتفكيك الشركة، ومن ثم انقسمت الشركة إلى عدد من الكيانات الاقتصادية الأصغر حجما مثل إكسون Exxon وموبيل.

ولكن على العكس من الأسطورة المنتشرة لدى الرأي العام، فإن صحافة التنقيب عن الفساد Muckrakers لم تكترس بتقديم المبررات الخاصة بإختيار بعض القصص المحددة، دون غيرها من أجل معالجتها ، إذ أن الفضائح لا تقتصر على التقارير المنشورة وحدها، ففي حالة إيدا

ترابيل فقد راهنت ومعها هيئة التحرير، على إمكانية اجتذاب المزيد من القراء الذين يقبلون على شراء المجلة، من خلال نشر هذه التقارير في تلك المجلة التي يتولون تحريرها..

ولكن أصداء صحافة الكشف عن الفساد لاتزال تتردد أصداؤها بقوة في هذه الفترة، وطبقا لما ذكره ستيف وأينبرج Steve Weinberg في كتابه الصادر عام 2008 ، فإن الأساليب التي اتخذتها إبدا ترابيل لكشف روكفلر Rockefeller الملياردير الأمريكي اليهودي المعروف الذي يعد من الرواد الأوائل في صناعة النفط بالولايات المتحدة وفى العالم، وشركة ستنادرد أويل التي أسسها، فقد استخدمت أساليب الصحافة الإستقصائية، وأوضح واينبرج أن تلك التقارير كتبتها إيدا ترابيل قبل عام 1900، ولكنها عملياً بدأت على إعادة النظر فيها بدقة متناهية، إذ أن التصدي لروكفلر لم يكن عملاً سهلا على الإطلاق.

ولذا تتبعت ترابيل الدعاوى القضائية، التي أقامها العديد من الشركات والأفراد شد شركة ستاندر أويل، فضلا عن الإطلاع على المذكرات التي تضمنت آراء القضاة في تلك القضايا، وجلسات الاستماع التي عقدتها لجان الكونجرس والدراسات والمراسلات التجارية، بجانب عدد لا يحصى من أنواع البيانات الأخرى كما أجرت لقاءات مطولة مع عدد من الأشخاص الذين سبق لهم العمل في الشركة،بالإضافة إلى الذين لم يزالوا في الخدمة.

وبحلول عام 1912، نشرت الصحف والمجلات في جميع أنحاء الولايات المتحدة حوالي 2000 تقرير استقصائي حول موضوعات مثل، التزييف في أعمال البنوك. واغتصاب النساء من الأقليات العرقية والدينية في الولايات المتحدة، وانعدام الأمان في صناعة تعليب اللحوم (2008:18 Kaplan)، وقد كانت الحركة التقدمية لها دور في غاية الأهمية في تلك الفترة، وأدى نشر التقارير الإستقصائية إلى فرض إصلاحات التشريعية، منها على سبيل المثال، القوانين التي تحظر عمل الأطفال، وتنظيم قطاع التجارة والاستثمار، وكذلك إصلاح نظام الانتخابات، وتنظيم صناعة الدواء.

**+فترة الإزدهار وظهور التقنيات الحديثة لصحافة الإستقصاء:**

بحلول عقد التسعينيات من القرن الماضى، أصبحت الصحافة الإستقصائية نمطا متميزاً من الصحافة، وقدمت كليات الصحافة والإعلام ، وأقسامها المتخصصة في الصحافة مناهج دراسية تتناول ممارسة الصحافة الإستقصائية، والمبادئ التي يتم الاعتماد عليها لدى إعداد التقارير الإستقصائية، فضلا عن تاريخ هذا النمط من الصحافة، وتحقل المراجع الدراسية في تخصص الصحافة بالتنوع حول كيفية إنجاز هذه التقارير، وأطرى مؤلفو المراجع على المحررين المتخصصين في الصحافة الإستقصائية، بإعتبار أنهم يقومون بدور البطولة في الذاكرة الشعبية الحديثة بدلاً من الفرسان الذين كانوا يدافعون عن حقوق الفقراء والمعدمين في التاريخ القديم والوسيط، وقدمت الطبعات الشعبية من الكتب الأكثر تداولاً، والبرامج التي تبثها شبكات التليفزيون في الولايات المتحدة على وجه الخصوص روايات شيقة عن المغامرات التي يقوم بها المحررون في مجال الصحافة الإستقصائية.

بينما قام الأساتذة المتخصصون في الصحافة بدراسة تقنيات إعداد التقارير الإستقصائية، مع رصد ما يحظى به هذا النوع من الصحافة من القبول لدى الرأى العام الأمريكي ، وفي مناطق أخرى من العالم، بالإضافة إلى التقاليد المتبعة في كتابة التقارير الإستقصائية، ومدى تأثيرها في المجتمع ، وعلى أجندة صناع القرار.

واكتشف الباحثون أن الصحافة الإستقصائية لا تزال قائمة وتحظى بالاحترام والمصداقية في المجتمع الأمريكي، خاصة مع نشر المزيد من التقارير الإستقصائية أو بث هذا النوع من التقارير من خلال شبكات التليفزيون المنتشرة في مختلف الولايات الأمريكية، وذلك في عام 1989، بمعدلات نزيد عما تم نشره قبل ذلك بعشر سنوات، وفي عام 1975 تم تأسيس منظمة تهتم بشئون المحررين المتخصصين في مجال الصحافة الإستقصائية، وقدمت المنظمة خدماتها إلى نحو 3300 من الأعضاء من المحررين ورؤساء التحرير في العديد من المطبوعات التي تصدر في الولايات المتحدة ودول العالم الأخرى حتى عام 1993.